الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ٢٠٠٨/١/٦

واجهة المتحف القبطى مستوحاة من جامع الأقمر

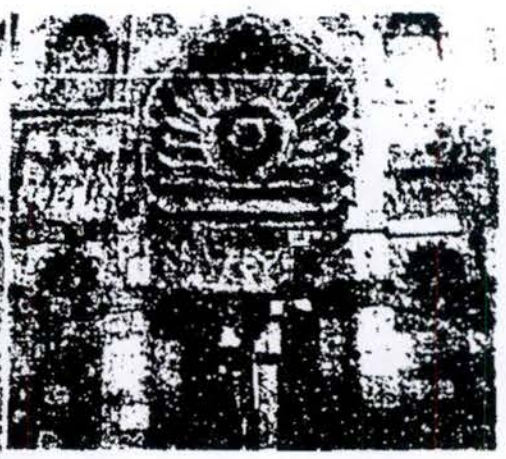

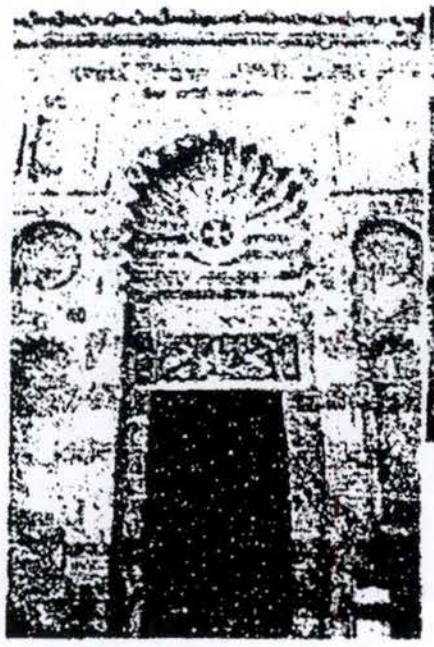

مسجد الاقمر والمتحف القبطى.. تراث ثقافى واحد

كارم يحيى

تصوير: محمد عبده

فى القاعة رقم (١٩) بالمتحف القبطى يتصدر المعروضات باب خشبى مطعم بحشوات من العظم (القطعة رقم ٨٦٩) يحار الزائر فى التخمين هل هو لكنيسة أم لجامع أما واجهة المتحف التى تعود إلى اربعينيات القرن الماضى فتحاكى واجهة الجامع الاقمر احد اجمل المساجد الفاطمية (القرن الثانى عشر).. وواجهة المتحف تترجم وعى صاحبها الفنان التشكيلى راغب عياد بالجذور المشتركة التى تجمع المصريين، وما من مؤرخ لتاريخ العمارة والفنون على ارض وادى النيل إلا واشار إلى أن الفنون القبطية والمسيحية الشرقية كانت من الأسس والروافد المهمة التى قامت عليها العمارة الإسلامية، كما فى المساجد وغيرها. وتتجلى حيوية التأثير والتأثر عطاء وأخذا فى ملاحظة الدكتور كمال الدين سامح بكتابه «العمارة الإسلامية فى مصر» عن التأثير البيزنطى الواضح فى تشييد قبة الجامع الأقمر نفسه، وحيث أشار إلى أن الفن القبطى كان بالأصل مدرسة من مدارس الفن البيزنطى.

هذه الألفة التى كانت قد جمعت آثارا ودور عبادة إسلامية وقبطية فى وطن واحد نبهنا إليها المثقف المصرى القبطى حنا جريس فأشار إلى دلالة استعارة الجامع الأقمر لواجهة المتحف القبطى قبل نحو سبعين عاما، وقال: الوعى بالجذور المشتركة للمصريين يعكس المناخ العام الذى يصوغ ثقافة الفنان والناس سواء كانت ثقافة وطنية عامة أو ثقافة فرعية لفئة. وأكد قائلا: واجهة المتحف القبطى تعنى ببساطة أن الأقباط كان لديهم وعى تاريخى بأنهم جزء من البناء العام للوطن. ويلفت الانتباه إلى كتاب الفه مينا أفندى فى عام ١٨٩٨ بوصفه من بواكير تاريخ الأقباط فى العصر الحديث لتاريخهم. فالمثقف المصرى القبطى استخلص من كتاب المؤرخ المقريزى «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» كتابا اختار له عنوان «القول الإبريزى فيما قاله العلامة المقريزى».

جريس يحذر مما وصفه بفقدان الذاكرة الثقافية، وبمعنى استبدال الذاكرة الوطنية بذاكرة دينية صماء تنظر إلى دور العبادة بمنظور دينى عقيدى صرف متجرد من الوعى الثقافى والإنسانى. وسألناه ما الذى لحق بوجدان المصريين؟. فأشار إلى أن النصف الثانى من القرن العشرين شهد إلحاق العملية التعليمية بالأجندة السياسية وتأميم الدولة للسياسة. وأوضح قائلا: التاريخ والجغرافيا يصوغان الوجدان الوطنى عند النشء. وإذا ما قمت بعملية انتقاء وأسقطت جماعة من التاريخ الجمعى للأمة فإنك دون شك تدفعها إلى أن تنشئ لنفسها تاريخها الخاص، وكذا فنونها الخاصة المغلقة. ويوضح قائلا: «الإدراك الانتقائى للتاريخ وإقصاء الآخر ينتج وجدانا مشوها عند الجميع مسلمين ومسيحيين».

هناك جهود بذلها مثقفون للحوار حول هذه القضايا الثقافية. بدأت منتصف عقد الثمانينيات، وتوقفت أو كادت مع عام ٢٠٠٠، وتابع هذه الجهود وشارك فيها جريس، فرعت الكنيسة الكاثوليكية فى مصر أنشطة «اللجنة المصرية للعدالة والسلام» ثم اسقفية الشباب بالكنيسة القبطية «مجموعة التنمية الثقافية». ويقول: «كان الهدف ليس فقط انفتاح شباب الأقباط على المثقفين بل على الثقافة العامة عبر قراءات غير منحازة فى تاريخ مصر وتدريبات على التذوق فى مختلف مناحى الإبداع».

ويضيف: هذه التجربة فتحت الباب أمام التفكير فى أن انكفاء الأقباط على الذات مؤقت وإن الأصل هو الانفتاح على المجتمع العام. وعن كيفية الخروج من دائرة الإحساس بالاستبعاد والمضى فى الابتعاد؟ يقول جريس: «لا أحد يملك وصفة جاهزة كاملة. ويقترح على جبهة الثقافة ثلاث خطوات: وضع الأقباط على خريطة مناهج التعليم كشركاء فى الوطن.. إدراج التراث القبطى فى الوعى العام من خلال إنشاء أقسام للدراسات القبطية بالجامعات.. وتحمل المثقفين مسئولية الاهتمام بطرح التراث القبطى المصرى على المجتمع». وهنا يعود ليستشهد بمؤرخ القرن الخامس عشر «المقريزى» قائلا: سأكون سعيدا لو نسعى جميعا لفهم بعض تفاصيل الثقافة والتاريخ القبطيين ولو أن مثقفين ومبدعين استلهموا الطقوس والترانيم القبطية بوصفها تراثا مصريا. ويضيف: «أنا على سبيل المثال أرى الأزهر جزءا من تراثى وفى أديرة وادى النطرون جانبا من تراث المصرى المسلم».

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية